Journal of Faslo el-khitab مجلة فصل الخطاب
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 12، عدد رقم: 02، جوان 2023، صص: 423- 438
تاريخ الاستلام(2023/01/05)تاريخ القبول (2023/05/02)تاريخ النشر(2023/06/30)

جمالية توظيف الرمز الديني
"قصيدة خذني إلى المسجد الأقصى لأيمن العتوم" أنموذجا

The Aesthetic Use of the Religious Symbol, the Poem "Take Me to Al-Aqsa Mosque" by Ayman Al-Atoum as a Model

بن عامر بن عطية [1]، بلحسين محمد [2]

[1] جامعة ابن خلدون، تيارت (الجزائر)، benatia.benameur@univ-tiaret.dz

[2] جامعة ابن خلدون، تيارت (الجزائر)، belhocinemohamed38@gmail.com

ملخص:

يعد الرمز من المفاهيم التي شغلت النقاد والباحثين، فهو وسيلة تمكن الإنسان من التعبير عن أفكاره ومشاعره بشكل غير مباشر، ويمنحه أفقًا واسعًا للتعبير عن آرائه وموا اقفه بحرية. فما هو الرمز وما تأثير استخدامه في الإبداع الأدبي عامة والشعر خاصة؟ يهدف بحثنا إلى توضيح مفهوم الرمز و أثره في إبراز جماليات النص الأدبي وقوته الدلالية. في هذا العمل تناولنا تعريف الرّمز، محاولين شرح مفهومه لدى مجموعة من الباحثين، ثم تطرقنا إلى المدرسة الرمزية وأصولها في الأدب الغربي والعربي. وخلصنا من خلال دراستنا التطبيقية إلى مجموعة من النتائج التي توضح قيمة الرمز الديني، ودوره في التأثير في المتلقي.

كلمات مفتاحية: الأقصى، الرمز الديني، المدرسة الرمزية، الدلالة، المتلقي، المسجد الأقصى.

Summary:

The symbol is one of the concepts that preoccupied the scholars, as it is a means that enables individuals to express their thoughts and feelings in an indirect way and gives him a wide horizon to freely express his opinions and positions. So, what is a symbol, and what is the impact of using it in literary creativity in general and poetry in particular? Our research aims to clarify the concept of symbols and their impact on revealing the aesthetics

المؤلف المرسل: بن عامر بن عطية، الإيميل: benatia.benameur@univ-tiaret.dz

of literary texts, and their semantic power. In this paper, we dealt with the definition of the symbol, trying to explain its concept to a group of researchers, then we looked at the symbolist school and its origins in Western and Arabic literature. Through our applied study, we concluded by presenting the obtained results that demonstrate the value of religious symbols, and teir role in influencing the recipient.

Keywords: Religious symbol, symbolic school, significance, recipient, Al-Aqsa Mosque.

1_مقدمة:

يفضل كثير من الأدباء اللجوء إلى التعبير باستخدام الرموز، بدلا من استعمال اللغة المباشرة، والرمز اللغوي كان ولا يزال محلّ تجاذب بين الدارسين، لعدة تخصصات؛ في علوم اللغة والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرها .

ولعل أبرز مدرسة أدبية اهتمت بالرمز وأعلت من شأنه هي: المدرسة الرمزية ؛ التي ازدهرت في أوربا منذ القرن التاسع عشر، وامتد تأثيرها إلى باقي أنحاء العالم . وتتعدد الرموز بتعدد مناحي الحياة الإنسانية منها: الطبيعي ومنها التاريخي، ومنها الديني الذي نحن بصدد دراسته . فما مفهوم الرمز ؟ وكيف نشأت الرمزية وتطورت ؟ وما قيمة وأثر توظيف الرموز عامة، والرمز الديني خاصة، في النصوص الأدبية ؟

يهدف بحثنا إلى بيان مفهوم الرمز وتطوره في المجال الأدبي، وخاصة النصوص الشعرية، وقد قمنا بدراسة قصيدة للشاعر " أيمن العتوم"، بعنوان " خذني إلى المسجد الأقصى " وحاولنا استكشاف الرموز التي استخدمها الشاعر في قصيدته، وخاصة الرموز الدينية منها، وكان المنهج المتبع في دراستنا: المنهج التاريخي في تتبع نشأة الرمز والمدرسة الرمزية، والأسلوبي حيث كنّا نحلِّل الأبيات التي تضمنت رموزا دينية، ونبحث عن المصادر المستمدة منها، وبعد ذلك نبين الأثر المعنوي والفني الذي يتركه توظيف تلك الرموز في نفس المتلقي، وما تضيفه للقصيدة من أبعاد جمالية.

2_ **الرمز وتوظيفه في الشعر الحديث والمعاصر:**

2_1_ ماهية الرمز:

إن استخدام الرمز في أدبنا العربي الحديث والمعاصر أمر ظاهر، فقد استطاع الروائيون والشعراء أن يوظفوا الرموز، بأشكال مختلفة، كل حسب ثقافته وتجاربه ونظرته للحياة، فالرموز لا تتحدد دلالتها قبل أن يوظفها الشاعر في قوالب وصيغ شعرية مبتكرة، فقيمتها الدلالية الجديدة "مشروطة بالممارسة والاستعمال، وفيها تتجلى أصالة الشاعر

باستفادته من النظام الرمزي السائد في حياته، واستفادته من مبتكرات الرموز الإنسانية كلها، بشكل يجعله يكتشفها ويعيد اكتشافها في كل مكان وزمان"[1]

والرمز أصلا ظاهرة من ظواهر الحياة البشرية الأولى، أثرت تأثيرا كبيرا في كتابة الأقدمين ليس هذا فحسب بل أثرت أيضا في كثير من الفنون حتى طبعت الكُتّاب والفنانين بطابعها الرمزي الأصيل.

والرمز معروف منذ آلاف السنين له أصله في الأدب والفن في مختلف العصور ويظهر بوضوح في الكتابة الهيروغليفية والسومرية التي كان فيها الرمز ظاهرة واضحة من ظواهر التعبير الأدبي والفني، وكان التعبير الأدبي أشبه بالرسومات التي تعبر عن معان واصطلاحات اتفقوا عليها.

أ_ الرمز لغة:

وقد ينبثق الرمز عن مجاز لغوي في إيحاء تخلقه تلك الصورة المتداعية، وتلك الانحرافات الحاصلة على مستوى اللغة.

جاء في لسان العرب: "الرَّمْزُ: تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنّما هو إشارة بالشفتين وقيل: الرّمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم، والرّمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيدٍ أو بعينٍ، ورَمَزَ يَرْمُزُ، ويَرْمُزُ رَمْزاً ورَمَزَتْهُ المرأة بعينها، ترمزه رمزاً: غَمَزَتْهُ وجاريَةٌ رمّازة: غَمَّازةٌ والرّمز والتَّرَمُزُ في اللغة: الحزم والتَحَرُّك"[2].

وهو أن يشير إلى قريبٍ منكَ خفيةً منك بنحو شفةٍ أو حاجب.

ب_ الرمز اصطلاحا:

ليس الرمز أداة جديدة اكتشفها الإنسان، فهو وسيلة عرفها منذ بداية وجوده واستخدمها في التعبير عن أفكاره وأحاسيسه "ولكنّ الشاعر المعاصر غلّبها في تجاربه الشّعرية، للانتقال الحداثي من بلاغة الوضوح إلى بلاغة الغموض في سعيه الدائم وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية يُثري بها لغته الشعرية، فهو مرتبط كلّ الارتباط بالتجربة الشعرية الّتي يُعانيها في واقعه الراهن"[3]. وهو بذلك يتجاوز حدود اللغة البسيطة القاصرة عن تصوير مكنونات نفسه، إلى وسيلة إيحائية مفعمة بالدلالات .

وتكمن أهمية الرمز في كونه متغلغلا في مختلف العلوم والفنون فهو حاضر كمصطلح في المنطق والرياضيات وعلم الإشارات والعلوم الأخرى، والفنون بأنواعها، كما أنه

عنصر أساس في العقائد والديانات منذ وجد الإنسان وعرف العقيدة والطقوس الدينية بما تحمله من رموز وعلامات، تمتزج في كثير من الأحيان بكلام الكهنة وطقوسهم، إلى جانب النصوص المقدسة في مختلف الأديان والشرائع، ويبقى الشعر الميدان الرحب والحقل الخصب لتوظيف الرمز لأنه مشبع بالإيحاءات حامل لدلالات تتعدى ما تتضمنه اللغة المباشرة "فالرمز يقوم أساسا على إخراج اللغة من وظيفتها الأولى للتواصل وإدخالها في الوظيفة الإيحائية"[4]، مما يمنح المبدع مساحة واسعة للتعبير.

2_2_الرمزية:

عرف الأدباء العرب المذهب الرمزي متأثرين بنظرائهم الغربيين، من خلال ما وفد إلى العالم العربي، من نظريات ومذاهب سياسية، واجتماعية في النصف الثاني من القرن العشرين "فكان المذهب الرمزي كتيّار جديدٍ جارفٍ يتّسمُ بأسلوب الإيحاء والغموض قريباً من ذائقة المتلقّي العربيّ، مُعيناً له على إيصال رسالته الأدبيّة والشّعريّة دون أن يُعرّض نفسه لبطش الدّولة المستبدّة، ومسوّغا له الخروجَ على منظومة القيود الاجتماعيّة الخانقة، فضلاً عن كونه منهجاً ذا آفاقٍ ومساحاتٍ واسعةٍ، يسمحُ للمُبدع الولوج في سراديب الأدب الغيبي"[5].

والقول أنّ الرمزية منهج على سبيل التجاوز لأنها مدرسة قائمة بذاتها، اجتاحت الفن والأدب، وكان الشعر الميدان الخصب لانتشارها، لتغزو أوربا وباقي أنحاء العالم " وللرمزية في هذا أهميّة خاصة، إذ هي أهم مذهب في الشّعر الغنائي بعد الرومانتيكية، وقد بعثت في الشّعر العالمي رعشة جديدة حين اعتبرته ضربا من الإيحاء الباطني والعدوى العاطفية، وليس نقلا للمشاعر والأفكار عن طريق الدلالة الوضعيّة المحدودة، غير أنّ الرمزيّة عودت الأدب على فكرة الثروة غير المحدودة، "[6] وهي ثروة رموز وإيحاءات ودلالات لامتناهية، يسعى من خلالها الشاعر نحو أفق مطلق.

2_3_تصنيفات الرمز:

وفي ظلّ التصنيفات العديدة للرمز والناتجة عن اختلاف النقاد يمكن حصره في صنفين (العامة والخاصة):

_**الرموز العامة**: وهي تلك الإشارات الّتي استمدت معناها من روح الماضي، وما صنعه أسلافنا من أمجاد، غدت تحمل رسالة لجميع الأجيال القادمة.

_**الرموز الخاصة**: وتتمثّل في مجموع الإشارات الّتي ابتكرها المُبدع لتوصيل تجربته[7]

أنماط الرمز في الشعر الحرّ: ومن أهم الأنماط الرمزية في الشّعر الحرّ: (الرمز الأسطوري/الرمز الصوفي/ الرمز التوليدي)

_الرمز الأسطوري:

ويسعى من خلاله الشاعر إلى استعادة رموز خرافية قديمة، تماثل ما هو كائن في عصره، بغية استعادة المواقف والأحداث وتفسيرها، مع إعطائها بعدا فنيا مشحونا بالدلالات؛ لإبراز تلك المواقف في صور ذات أبعاد جمالية، تكون أبلغ في التأثير من التعابير البسيطة المباشرة. "ومن أهم الرموز الأسطورية الّتي عُني بها شعراؤنا أسطورة أوديب، سيزيف وبرميتيوس، تموز، عشتار، إيزيس، أوزوريس، السندباد"[8].

_ الرمز الصوفي:

يعمد الشاعر إلى استدعاء الرموز الصوفية المختلفة، على مستوى اللغة أو الشخصيات أو المواقف، وتوظيفها في قصيدته توظيفا جديدا، مستغلا ما فيها من طاقات موحية فيّاضة، وما تشعه من دلالات تتجاوز مستوى اللغة العادية، ومن بين الألفاظ والتعابير الصوفية المستخدمة في الشعر المعاصر: "السُكْر والوجد والقطب والكشف والفيض واللطف، والسرّ والعرفان والفتوح وغيرها.

وقد استوحى العديد من الشّعراء المعاصرين البنية الصوفية واستخدموها رمزاً دلالياً معاصراً. يُعبّرون من خلاله عن قضاياهم الحياتية، وواقعهم المعيش. ومنهم صلاح عبد الصبور، البياتي، أدونيس، عفيفي مطر، محمد أبو دومة، أحمد الشهاوي، مختار عيسى، زكية مال الله، سعاد الكراوي، وغيرهم."[9] وتبقى اللغة الصوفية طيّعة سهلة الاستعمال معطاءة غزيرة الدلالة، وهو ما جعلها تستهوي الشعراء وتجذبهم إلى تلك العوالم.

_ الرمز التوليدي:

وهو رمز يُولِّده الشاعر نفسه، ويحمّله دلالات خاصة به، تناسب بيئته الثقافية ومذهبه الفكري، وأحاسيسه النفسية، للتعبير عن المواقف والأحداث برؤية متميزة، تحمل سمات ابتكارية. واللافت أن الرموز التوليدية لا تتشابه مدلولاتها لدى الشعراء، رغم تشابه المصطلحات والرموز التي يستخدمونها، وذلك راجع لاختلاف تجاربهم وتباين مشاعرهم، وتمايز الرؤى بينهم. "وأهم الرموز التوليدية الشائعة في القصيدة المعاصرة هي: رموز البحر، الخيل، الفارس، الأم، الدم، الأرض، الطفل، النار، الماء، التراب، وغيرها.

ونجد هذه الرموز في بعض أشعار نازك الملائكة، البياتي، صلاح عبد الصبور، فدوى طوقان، معين بسيسو، توفيق زياد، محمود درويش، ممدوح عدوان، أمل دنقل، محمد عفيفي مطر، حميد سعيد، محمد ابراهيم أبو سنة، حسين توفيق، شوقي بزيع وغيرهم"[10].

في نهاية الجانب النظري يمكن أن نستخلص أن الرمز مفهوم واسع، يتعدى الجانب اللغوي إلى أبعاد أخرى، حيث أن له بعدا نفسيا نظرا لطبيعته اللغوية، وارتباطه بالخيال والذاكرة. فالعقل البشري يقوم بعملية استبدال لأشياء لتنوب عنها أشياء ورموز أخرى في عملية ذهنية معقدة، كما أن للرمز جانبا فلسفيا لكونه يدخل ضمن عملية الإدراك وما يربط بين المادي الحسي والمعنوي في علاقة جدلية متلازمة، أما علم الاجتماع فينظر إليه باعتباره جزءا من الحياة الاجتماعية للإنسان، لارتباطه بنشاطاته وعلاقاته بالناس والطبيعة والصيرورة التاريخية للبشر، وما يهمنا في بحثنا هو الرمز اللغوي، الذي لجأ إليه الأدباء في إبداعاتهم، كردة فعل على الأدب القديم الذي يولي أهمية للمبدع والنص في حالة من الانغلاق، فكانت الرمزية فرصة للانفتاح على رموز الحياة بمختلف أنواعها لتستلهم منها معاني جديدة تتخطى اللغة الكلاسيكية العادية.

3_الرموز الدينية في قصيدة خُذني إلى الأقصى لأيمن العتوم:

_أيمن العتوم وقصيدته "خذني إلى الأقصى": أيمن العتوم شاعر وروائي أردني من أصول فلسطينية، عُرِف بدفاعه عن القضية الفلسطينية والمسجد الأقصى، فهو من الأدباء الملتزمين بقضايا الأمة المصيرية ومنها تحرير المسجد الأقصى، وقد خصه بديوان شعري سماه: "خذني إلى الأقصى" والقصيدة التي بين أيدينا من هذا الديوان، وتحمل اسمه.

3_1_الرموز الدينية المستمدة من القرآن الكريم: لجأ الشاعر إلى استخدام رموز دينية مستمدة من القرآن الكريم، ويكون استخدام هذه الرموز ذا قيمة معنوية كبيرة، لما يحمله من شحنات دلالية ذات بعد يتعلق بالعقيدة، فالقرآن الكريم هو كلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه، ولا شك أن تأثيره في المتلقي شديد القوة، خاصة إذا كان هذا المتلقي مسلما ملتزما بتعاليم دينه .

_ رموز تتعلق بالأرض المقدسة:

رمز القدس وفلسطين: يتحدث أيمن العتوم في قصيدته من منطلقين ودافعين أساسين يجعلانه يتكلم بصدق ويعبر عن معان حقيقية في نفسه؛ الأول كونه ذا أصول

فلسطينية (من عائلة نزحت إلى الأردن بعد الاحتلال)، والثاني أنه شاعر مسلم ملتزم تعبر عن ذلك كتاباته وقصائده الكثيرة التي تصب في نصرة القضية الفلسطينية .

_النموذج الأوّل:

يستهل الشاعر قصيدته ببيت يوجهه إلى المرابطين في أرض فلسطين، الذين يفدون المسجد الأقصى بدمائهم وأنفسهم يقول:

لا تَبرحِ الأرضَ واحْمِ القُدْسَ والْتَحِمِ
وانقُشْ دماك على بَوَّابَةِ الحَرَمِ [11]

في البيت المذكور يوظف الشاعر رمزا دينيا مكانيا، هو من أطهر بقاع الأرض ألا وهو القدس، التي تقع في فلسطين وهي الأرض المقدسة بنص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**يا قَومِي ادخُلوا الأرضَ المُقَدّسَة**﴾ [المائدة، 21]، وأقدس بقعة فيها هي القدس الشريف، التي تعتبر عاصمة فلسطين التاريخية، وعليها يكمن الصراع مع اليهود . وأقدس مكان فيها المسجد الأقصى، الذي يعتبر من المقدّسات الإسلامية، فهو قبلة المسلمين الأولى، والتي تغيرت لتصبح المسجد الحرام، قال تعالى: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وجْهِكَ في السَّمَاءِ فَلَنُوَلّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا**﴾[البقرة، 144]، وثاني مسجد بني على وجه الأرض بعد المسجد الحرام، وثالث الحرمين الشريفين في القَداسة والحُرمة بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي .

وهو من المساجد التي تشد إليها الرحال قال رسول الله ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا لِثَلَاثَةِ مَسَاجِد: مَسْجِدِي هَذَا وَالمسجد الحرام، والمسجد الأقصى ...»[12] وذكر منها المسجد الأقصى المبارك

وهو المسجد الذي زاره وصلى فيه الرّسول ﷺ بالأنبياء إماما في ليلة الإسراء والمعراج قال تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**﴾ [الإسراء، 1]

فهو مسجد مبارك في أرض مباركة، كانت مهد الأنبياء وأرض الرسالات؛ «وأسباب بركة المسجد الأقصى كثيرة كما أشارت كلمة حوله، منها أن واضعه إبراهيم عليه السلام، ومنها ما لحقه من البركة بمن صلى به من الأنبياء »[13]

وفي البيت يشدد الشاعر على التمسك بالأرض وعدم مغادرتها والتفريط فيها مهما كانت الأسباب، واستعمل عبارة: « لَا تَبْرَحْ » والتي تدل على التعلق والتمسّك بشدة؛ لأن الأمر فيه واجب ديني شرعي، وهي عبارة وردت في القرآن الكريم على لسان أحد إخوة يوسف الذي

عبر عن التمسك بوصية أبيه المتمثلة في رعاية أخيه الأصغر وعدم التفريط فيه: ﴿**لَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي**﴾[يوسف، 80]

_النموذج الثاني:

ثم يوصي الشاعر كلّ فلسطيني بالتمسك بأرض فلسطين، وعدم التفريط فيها بقوله:

وَاقْبِضْ عَلَى الْجَمْرِ إِنَّ الْقَابِضِينَ عَلَى
جَمْرِ الْبِلَادِ أَضَاؤُوا عِزَّةَ الأُمَمِ [14]

وهنا تكمن عبقرية الشاعر في الجمع بين الرمز الديني والطبيعي، فالجمر رمز طبيعي يدل على الحرقة والألم الشديد والعذاب، وأتى بنتيجة الجمر وفائدته وهي الضياء، الذي يمثل عزة الأمة، فلا تتأتّى عزة الأمة قاطبة إلا بحماية مقدساتها وصونها؛ لأنها شرف المسلمين . وفي البيت جمع الشاعر بذكاء بين النار والنور (الجمر والضياء) وهي علاقة سببية طبيعية، تؤدي بُعدا معنويا في واقع الأمة، فالصبر والمرابطة يؤديان إلى النصر والعزة والتمكين لمستقبل مشرق . وأما الرمز الديني فقد ورد عن النبي ﷺ قوله: « المُتَمَسِّكُ يَوْمَئِذٍ بِدِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ »[15] ويقصد بذلك زمن الفتن، ولاشك أننا في زمن الفتن التي تجعل التمسك بالدين والثوابت من الشدة بمكان .

_النموذج الثالث:

يُوجِّه الشاعرُ نصيحةً للشعب الفلسطيني، وتنبيها مهما لكي يتفطن للمؤامرات التي تحاك ضد قضيته العادلة، بمسميات عدة كالمعاهدات والمؤتمرات، التي تصب في حقيقتها في مصلحة المحتل.

يقول الشاعر:

وَخَلِّ خَلْفَكَ كُلَّ الرَّاكِنِينَ إِلَى
صُلْحِ اليَهُودِ وَإِنْ سَاغُوهُ فَاتَّهِمِ[16]

فالشاعر في قصيدته يضع ميزانًا لا يخطئ، وبوصلةً تُصيب الاتجاه الصحيح بدقة، ألا وهي المقاومة، مقاومة المحتل الغاصب، وعدم الاستسلام أو الرضوخ والمداهنة، تحت أيّ شعار مهما كان براقا؛ كالسلام والصلح وغيرهما من المخادَعات التي تساوِم على الأرض المقدسة وتفرِّط فيها.

وهذا المبدأ أصيل في عقيدة المسلم، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾[البقرة، 120] وقوله: ﴿**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**﴾[القلم، 9]

وذلك لأن اليهود من طبيعتهم نقض المواثيق فقد نقضوا ميثاقهم مع الله فعاقبهم بالإبعاد عن الأرض المقدسة والتيه في الأرض، ونقضوا ميثاقهم مع الرسول ﷺ حين صالحهم في المدينة، فعاقبهم بالجلاء منها . ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمْ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾[النساء، 155]

_النموذج الرابع:

ويواصل الشاعر تبيان طهارة الأرض المقدسة وضرورة تنقيتها من دنس اليهود الغاصبين فيقول:

وَلَا تَدَعْ لِيَهُودِيٍّ بِهَا أَثَرًا
فَإِنَّهُمْ نَجَّسُوهَا بَائِعُوا ذِمَمِ[17]

وهي دعوة للفلسطينيين خاصة والمسلمين عامة، إلى تحرير فلسطين وتطهيرها من اليهود، الذين عثوا فيها فسادا، والأمر مستمد من القرآن الكريم الذي يدعو إلى تطهير الأراضي المقدسة، وذكر ذلك عن مكة والمسجد الحرام في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ، فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾(التوبة، 28)، وما يقال عن المسجد الحرام، يقال عن المسجد الأقصى باعتباره أرضا إسلامية مقدسة أيضا.

_النموذج الخامس:

وفي قمة تعبيره عن قداسة المسجد الأقصى وما حوله من أرض طيبة مباركة يقول الشاعر:

وَاخْلَعْ فُؤَادَكَ بِالوَادِي المُقَدَّسِ كَيْ
يُقَبِّلَ الأَرْضَ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ نَهَمِ
القُدْسُ أَقْدَسُ مِنْ رُوحٍ عَلَى جَسَدٍ
فَقُلْ لِقُدْسِكَ: يَا رُوحِي وَيَا رَحِمِي[18]

وفي الأبيات تناص جميل مع الآية التي تتحدث عن جبل الطُّور بسيناء الذي كلم الله به موسى عليه السلام تكليما، وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالوَادِ المُقَدَّسِ طُوَى**﴾[طه، 12]

_النموذج السادس:

كما يعبر الشاعر عن قدسية ذلك المكان ومنزلته في نفس المسلم بأنه يضحي من أجله ولا يبخل عليه بدمه، يقول الشاعر:

نَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ دُونَ صَخْرَتِنَا
وَلَيْسَ نَبْخَلُ عَنْهَا بِدَمِ[19]

ويقصد بالصخرة قبة الصخرة، وهي المكان الذي عرج منه بالنبي ﷺ إلى السماوات العُلى ليلة الإسراء والمعراج

3_2_رموز دينية تتعلق بالجهاد والتضحية ومقاومة المستعمر:

أ-الجهاد والاستشهاد في سبيل الله

اليهود أجبن خلق الله، يخافون الموت ويركنون إلى الحياة، مهما كانت ذليلة، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاة**﴾[البقرة، 11] وقوله: ﴿**لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيد**﴾[الحشر، 14]

فإن المسلم يضحي بنفسه من أجل دينه ومقدساته، ويقابل الموت بشجاعة، لأنه يتمنى الشهادة في سبيل الله، ويطمح إلى حياة ثانية أجمل وأسعد في جنات النعيم﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[آل عمران، 169]

والجهاد الذي لا يختلف عليه اثنان، وتُجمِع الأمة على وجوبه هو الجهاد في فلسطين لتحرير المسجد الأقصى من براثن العدو .

_النموذج الأوّل:

يقول الشاعر:

نَقْضِي عَمَالِقَةً حَتَّى إِذَا حَسِبُوا
أَنَّا انْتَهَـيْنَا أَتَيْنَاهُمْ مِنَ العَدَمِ [20]

ولا عجب عند الحديث عن قوة وبسالة الإنسان الفلسطيني، التي شهد بها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ**﴾[المائدة، 22]

وقد امتدح رسول الله المرابطين على تخوم الأقصى بقوله « لَاتَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ، عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَة »[21]

فالشعب الفلسطيني ممتزج دمُه وروحُه بتراب أرضِه، فكيف يفهم ذلك اليهود ومن آزرهم من الغرب، وهيئاته الأممية، يقول الشاعر:

فِي كُلِّ ذَرَّةِ تُرْبٍ رُوحُنَا الْتَصَقَتْ
فَكَيْفَ تَفْهَمُ هَذَا هَيْئَةُ الأُمَمِ

_النموذج الثاني:

وللشهيد عند المسلمين مكانة عظيمة، تجعل ذويه يفرحون ويستبشرون بشهادته، فتطلق الأمهات الزغاريد، ويطلق الرجال صيحات التكبير مشيّعين شهداءهم، فتكون تلك الشهادة وقودا للمقاومة، وشعلة مقدسة تشتعل فتحرق الظالمين، يقول الشاعر:

وَجَابِهِ المَوْتَ عَارِيَ الصَّدْرِ مُشْرَعَهُ
وَإِنْ أَتَاكَ رَصَاصُ الْغَدْرِ فَابْتَسِمِ
وَغَنِّ لِلْقُدْسِ إِنَّ الْقُدْسَ عَاشِقَةٌ
وَسَوْفَ تَطْرَبُ إِنْ بَالَغْتَ فِي النَّغَمِ
و كُلَّمَا طَرِبَتْ وَاهْتَزَّ جَانِبُهَا
تَسَاقَطَتْ شُهَدَاءُ الْقُدْسِ كَالْحِمَمِ[22]

وبعد هذا كله، حُقَّ لأم الشهيد أن تفرح وتفخر به؛ لأنه سبقها إلى الجنة، وسيكون شفيعا لها ولأهله يوم القيامة، أما في الدنيا فستكون دماؤه وقودا للمقاومة حتى النصر، يخاطب الشاعر أم الشهيد بهذا المعنى في قوله:

فَلْتَفْخَرِي بِدِمَاهُ إِنَّهَا نَقَشَتْ
عِزًّا لِأُمَّتِهِ بِالنَّارِ لَا القَلَمِ

ب_ رمز السيف

السبيل الوحيد لتحرير فلسطين هو الجهاد في سبيل الله. والذي عبر عنه بالسيف، لأن السيف رمز طبيعي للحرب، وهو من أقدم الأسلحة للدفاع عن النفس وقتال الأعداء، وقد كانت حروب المسلمين ضد أعدائهم باستعمال السيف

يعبر عن ذلك الشاعر بقوله:

لَا يَسْمَعُونَ سِوَى قَرْعَ السُّيُوفِ وَلَا
يُخَاطَبُونَ بِغَيْرِ النَّارِ وَالضَّرَمِ

وقد ورد في حديث رسول الله الترغيب في الجهاد والاستشهاد في سبيل الله واستعمل كلمة السيف للدلالة على ذلك، في قوله: « وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوف »[23]، أي

أن من يرغب في الجنة ونيل مرتبة الشهداء عليه بالجهاد في سبيل الله، ووسيلة الجهاد في عصر النبي عليه الصلاة والسلام هي السيف، لِذا غدا رمزا للدلالة على ذلك .

فالعدو في نظر الشاعر لا تخيفه المؤتمرات، وما ينتج عنها من شجب وإدانة، إنما يرعبه السيف والجهاد، يقول معبرا عن ذلك:

وَلَيْسَ يُرْعِبُهُمْ شَجْبٌ بِمُؤْتَمَرٍ
وَلَا اجْتِمَاعٌ، وَلَا أَلْفٌ مِنَ القِمَمِ
لَكِنَّهُمْ وَصَلِيلُ السَّيْفِ مُحْتَدِمٌ
يَعْنُونَ لِلْمَوْتِ، وَالجَبَّارَةِ القُصُمِ [24]

ج- رمز الخيل

وكما أنّ السيف رمز للجهاد في سبيل الله، فإن الخيل تعتبر كذلك رمزا له، ويوظف الشاعر رمز الخيل في قوله:

وَالخَيْرُ بَيْنَ نَوَاصِي الخَيْلِ مُنْعَقِدٌ
إِنْ قِيلَ: يَا خَيْلُ هَذِي السَّاحُ فَاقْتَحِمِي [25]

و هذا تناص مع الحديث الشريف « الخَيْلُ مَعْقُودٌ عَلَى نَوَاصِيهَا الخَيْرُ »[26]، ففي الحديث إشارة إلى الخيل التي ترمز إلى الخير، وإلى النصر على الأعداء من أعظم أبواب الخير على الأمة .

و لكن في المقابل يتساءل الشاعر عن الفرسان التي تركب تلك الخيل يقول:

كُلُّ الْخُيُولِ بِأَوْطَانِي بِلَا سِرْجٍ
وَلَا فَوَارِسَ تَعْلُوهَا وَلَا لُجُمِ

إلى أن يقول:

فَمَنْ يَجِيءُ بِهَا لِلْقُدْسِ عَادِيَةً
ضَبْحًا عَلَى صَهَوَاتِ العَزْمِ وَالهِمَمِ ؟[27]

وفي البيت السابق تناص مع القرآن الكريم في سورة العاديات، قال تعالى: ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا**﴾[العاديات، 1]

3_3- شخصيات إسلامية تاريخية ترمز لتحرير فلسطين والانتصار على الأعداء:

ويختم الشاعر قصيدته برموز إسلامية تتمثل في شخصيات عظيمة، حققت عزة الأمة، وانتصرت على أعدائها، وكان الجهاد في سبيل الله وسيلتها وإعلاء راية الإسلام غايتها

و من هؤلاء، الخليفة المعتصم، الذي استمع لصرخة المرأة المسلمة التي اعتدى عليها الروم في حدود الدولة الإسلامية، فاستنجدت بالخليفة العباسي المعتصم قائلة: وامعتصماه، فرد عليها المعتصم ملبيا نداءها وجهز جيشا غزا به الروم وفتح مدينة عمورية.

يقول أيمن العتوم: غَدًا تَعُودُ إِلَى سَاحَتِهَا أَلَقًا

خَيْلُ الْمُغِيرِينَ مِنْ أَحْفَادِ (مُعْتَصِمِ)[28]

و هو المعنى نفسه الذي عبر عنه أبو تمام في قصيدته المشهورة (فتح عمورية) إذ يقول:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ

فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ [29]

وأصبح -منذ ذلك الحين- " المعتصمُ" رمزا لنصرة الإسلام والمسلمين

وآخر وأعظم رمز من الشخصيات الإسلامية، والذي ارتبط اسمه بتحرير القدس والمسجد الأقصى " صلاح الدين الأيوبي " الذي حرر القدس من أيدي الصليبين في معركة حطين التي خلّدها التاريخ .

يشير إلى ذلك شاعرنا بقوله:

وَتَلْتَقِي (بِصَلَاحِ الدِّينِ)، مَوْعِدُنَا

حِطِّينُ ثَانِيَةً فِي سَاحَةِ الحَرَمِ [30]

و هي صرخة في ضمير الأمة، لعلها تستيقظ من سباتها وتعيد لنا حطين ثانية، نستعيد بها أرض الإسراء والمعراج، ونسترد شرف هذه الأمة ومجدها الضائع.

4- خاتمة:

في نهاية بحثنا وبعد ما استعرضناه من مفاهيم للرمز، وتطور المدرسة الرمزية في المجال الأدبي، ومن خلال دراستنا للرمز الديني في قصيدة " خذني إلى الأقصى للشاعر: "أيمن العتوم " نخلص إلى عدة نتائج يمكن تلخيصها فيما يأتي:

- أن الرمز أداة للتعبير، وقد لجأ الإنسان منذ القدم إلى استخدام الرموز للتعبير عن أفكاره ومشاعره بطريقة غير مباشرة موظفا قوتها المعنوية..

- للرمز أنواع ؛ منها: الطبيعي والأسطوري والتوليدي والديني.

- الرمزية مذهب فني أدبي نشأ بأوروبا في القرن التاسع عشر واعتنقه كثير من الشعراء وخاصة الشباب منهم.

- انتقلت الرمزية إلى الأدب العربي في بدايات القرن العشرين، فتلقفها الأدباء والشعراء العرب للتعبير عن أفكارهم وآرائهم بطريقة أكثر حرية وأمانا، في ظل الاستعمار والاستبداد الذي كان يعيشه الوطن العربي آنذاك.

- يلجأ الأدباء والشعراء إلى الرموز لأسباب مختلفة، أهمها الهروب من الرقابة والسلطة (سلطة الاحتلال مثلا)، ليوصلوا رسائلهم إلى جمهورهم بطريقة فنية جميلة وقوية .

- الرمز الديني أحد الرموز المهمة التي لجأ إليها كثير من الشعراء المعاصرين، لما لها من قوة تأثيرية، بسبب ارتباطها بعقيدة الإنسان وثوابته وملامسة عاطفته الدينية .

- الشاعر أيمن العتوم من الشعراء المعاصرين الملتزمين بقضايا الأمة العربية الإسلامية، وعلى رأسها قضية فلسطين والمسجد الأقصى.

- توظيف الشاعر "أيمن العتوم" للرموز في قصيدته كان ملائما بالنظر للقيمة الدينية والتاريخية التي تحملها تلك الرموز.

- وظّف "أيمن العتوم" الرمز الديني في قصيدته "خذني إلى الأقصى" ببراعة حيث استدعى النصوص الدينية(آيات وأحاديث) وما تحمله من رموز مقدسة، وفي مقدمتها "المسجد الأقصى".

- من بين الشخصيات الدينية الرمزية التي وظفها الشاعر في قصيدته: "صلاح الدين الأيوبي"، و"الخليفة المعتصم"، وهما من الشخصيات الملهمة التي ساهمت في تحقيق النصر والعزة للمسلمين.

- لغة الشاعر القوية وما تحمله من رموز اختارها بعناية (السيف، الخيل، الاستشهاد، الجهاد...) جعلت قصيدته تحفة فنية يمتزج فيها الماضي المجيد بالحاضر الأليم، فهو يحاول من خلال تلك الرموز بث روح الأمل في الأمة واستنهاض همتها، لتسترد حقوقها المغصوبة، وتحيي حضارتها المجيدة.

مراجع البحث وإحالاته:

1- عيادي خالد، الرمز علامة لفهم عوالم الشعراء، مجلة فصل الخطاب، جامعة تيارت، المجلد السادس، العدد 21، 2018، ص:139- 140.

2 - ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، باب الزاي، مجلد5، ص356-357.

3 صفية بن زينة، جمالية الرمز في بناء المعنى _قصيدة عاشق من فلسطين لمحمود درويش أنموذجا، مجلّة رفوف، مج: الثامن، العدد: الثاني، 2020م، ص 213

4 يوسفي سوهيلة، الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة _قراءة في الشكل_ خليل حاوي أنموذجا، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كليّة الآداب واللغات، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، ص21

5 عاطف خلف سليمان العيايدة، الرّموز المحوريّة في شعر محمود درويش _دراسة سيميائية تحليلية_، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كليّة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، 2015م، ص8

6 محمد فتّوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ط3، 1984م، دار المعارف، القاهرة، ص05

7 صباحي حميدة، جماليات الرمز في ديواني "بوح المقام" و"يطوف بالأسماء" للشاعر "عبد الله العشي"، مجلة قراءات، جامعة بسكرة، الجزائر، ص303

8 عمر الدقاق وآخرون، الشّعر الحديث والمعاصر، ط1، 1417هـ/1996م، دار الأوزاعي للطباعة والنشر والتوزيع، _النويري_، بيروت، لبنان، ص 245

9 المرجع نفسه، ص 254

10 المرجع نفسه، ص 264

11 أيمن العتوم، خذني إلى المسجد الأقصى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 2013، ص 5

12 مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1991، ج2، ص 1014

13 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، ج 15، ص 20

14 أيمن العتوم، المرجع السابق، ص 5

15 أحمد بن حنبل، المسند، تح :شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1997، ج15، ص 33

16 أيمن العتوم، المرجع السابق، ص 5

17 أيمن العتوم، المرجع السابق، ص 6

18 أيمن العتوم، المرجع السابق، ص 6

19 أيمن العتوم، المرجع السابق، ص 6

20 أيمن العتوم، المرجع السابق ص 6

21 مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مرجع سابق، ص 1524

22 أيمن العتوم، المرجع السابق، ص 5

23 مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مرجع سابق، ص 1362

24 أيمن العتوم، المرجع السابق، ص 8

25 أيمن العتوم، المرجع السابق، ص 11

26 مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مرجع سابق، ص 1493

27 أيمن العتوم، المرجع السابق، ص 11

28 أيمن العتوم، المرجع السابق، ص 12

29 أبو تمام الطائي، الديوان، المعارف العمومية الجليلة، مصر، د.ت، ص 7

30 أيمن العتوم، المرجع السابق، ص 12

قائمة مراجع البحث:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، باب الزاي، مجلد5.
2. أبو تمام الطائي، الديوان، المعارف العمومية الجليلة، مصر، د.ت.
3. أحمد بن حنبل، المسند، تح :شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1997، ج15.
4. أيمن العتوم، خذني إلى المسجد الأقصى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 2013.
5. صباحي حميدة، جماليات الرمز في ديواني "بوح المقام" و"يطوف بالأسماء" للشاعر "عبد الله العشي"، مجلة قراءات، جامعة بسكرة، الجزائر.
6. صفية بن زينة، جمالية الرمز في بناء المعنى _قصيدة عاشق من فلسطين لمحمود درويش أنموذجا_، مجلّة رفوف، مج: الثامن، العدد: الثاني، 2020م.
7. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، ج15.
8. عاطف خلف سليمان العيايدة، الرّموز المحوريّة في شعر محمود درويش _دراسة سيميائية تحليلية_، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كليّة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، 2015م.
9. عمر الدقاق وآخرون، الشّعر الحديث والمعاصر، ط1، 1417ه/1996م، دار الأوزاعي للطباعة والنشر والتوزيع، _النويري، بيروت، لبنان.
10. عيادي خالد، الرمز علامة لفهم عوالم الشاعر الإنسانية، مجلة فصل الخطاب، جامعة تيارت، مج: السادس، العدد:21، 2018
11. محمد فتّوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، ط3، 1984م، القاهرة.
12. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1991، ج2.
13. يوسفي سوهيلة، الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة _قراءة في الشكل_ خليل حاوي أنموذجا، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كليّة الآداب واللغات، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس.